على تعاطيهِ من حيث الأكل والشرب والملبس بل قد يخرج الواحد منهم من بيتهِ ويحبس زوجتهُ في غرفة من غرف البيت ويقفل بابها ويضع المفتاح في جيبهِ . والنساء نصف الامة كما لا يخفى فامة تعمل نساؤها هذه المعاملة تحسر نصف قوتها العقلية والجسدية . وقد قرأت بعيد ذلك ان جنود المغرب الاقصى الذين خرجوا لاقتفاء اثر القائد مكلين خلعوا ثيابهم العسكرية لانها من ملابس الكفار ولبسوا البذلة منها بيضة ملات واتخفوا بالبرنس المغربي . اللهم ابعث الينا رسلاً من اليابان ليعلمونا كيف نباري الاوربيين

الا ان ما ذكرتهُ عن التجار التونسيين لا يمسُّ آدابهم الشخصية ولا يتعدّى الى معاملاتهم التجارية فانهُ لم يبلغني عنهم من هذا القبيل الاَّ انهم اهل جد ونشاط وادب كامل وعسى ان يفيقوا الى ذلك الاعتقاد الراسخ ان الدين عند الله المعاملة

النجاح الغريب

يقف المرء حائرًا مبهوتًا كلما علم ان انسانًا كان بالامس فقيرًا معدمًا فاصبح اليوم يعدّ من الاغنياء . ومن ثم يسأل عن اسباب نجاحهِ المالي ويودُّ ان يقف على سر ثروتهِ لعلهُ يقتفي خطواتهِ

وكما ان نجاح الفرد يستهوي الهمم ويستثير العزائم من مكامنها ويدفع ببعض الرغائب الى تحدي الناجحين في ما يظنونهُ سر نجاحهم هكذا يجب على الامم والجماعات ان تقتدي بمن سبقها من امثالها في سبيل الارتقاء

اعتبر ذلك بما كان من ارتقاء ولايات المتحدة الاميركية فانها حديثة العهد في الوجود السياسي والادبي ولم يكن لها من قبل استقلالها شأن يذكر في العلم والتجارة والثروة والصناعة اما وقد نالت بعد ذلك لبنَ حريتها وتألفت دولةً فانها اخذت بجميع معدات رقيها واستمدت من اوربا مناهج عمرانها اما بتقليدها اوبما حمل اليها المهاجرون الراحلون من العالم القديم اليها فنمت وازدهت

ومع ان سكان الولايات المتحدة ليسوا شعبًا بل امةً تراهم كلهم يندفعون الى نصرة بعضهم بعضًا والعمل بما يعزز شأنهم حتى كأنهم لم تمام النجاح

قلنا ان السكان ليسوا شعبًا لان الشعب على ما في كلمات ابي البقاء كل جماعة كثيرة من الناس يرجعون الى اصل مشهور وامر زائد فهو شعب والحال ان سكان الولايات من شعوب شتى فلا يطلق عليهم لفظ اسم الامة لانها تطلق على كل جمع من الناس لم يجامع من دين او زمان او مكان او غير ذلك

فالامة الاميركية قائمة باتحادها على جلب المنافع ودرء المفاسد لا يرى افرادها شذوذاً عن مبدأ الجموع وكل الهم اليهم فقر ونزل بينهم اصطنع بالصبغة العامة وحاز مع التفيف يداً واحدة على السعي في سبل المنافع

يدهش من الامم الساعية في الارتقاء انها تتردد عن تحذي الولايات المتحدة في سيرها وانتهاج مناهجها مع ان نجاحها من غرائب الدهر فكأن قادة الافكار لاسيما في الممالك الشرقية لم يفقهوا سر النجاح الاميركي والا فعلى غيرهم غشاوة وفي آذانهم وقر فهم لا يسمعون

فان لم يعرفوا بالارتقاء منذ الاستقلال الى منتصف القرن التاسع عشر فذلك حديث تاريخي يقتضي تمعن فيه درساً وتنقيباً ولكنا نحدثهم الآن بنبإ جديد كنا نسمع له دوياً ونرى من آثاره عجباً حتى اظهره لنا بحث جديد لعالم اميركي هو تشارلس هارفي نشره في مجلة منسي الشهرية وملأه بالارقام فاظهر فيه الفرق العظيم بين حالة بلاده سنة ١٨٦٥ وحالها في هذه السنة

فان عدد السكان كان نحو ٣ من خمسة وثلاثين مليوناً من النفوس فاصبح لهذا العهد تسعين مليوناً او يزيدون

وكانت الطرق الحديدية آخذة بالامتداد والانتشار ومدى خطوطها حينئذٍ خمساً وثلاثين الفاً من الاميال ولكن الاميركان لم يكتفوا بما كان عندهم بل اخذوا يزيدون خطوطهم امتداداً وتشعباً ويستطرقون بها الى القرى والمزارع فضلاً عن المدن ليسهل عليهم نقل ما يستغلون الى الاسواق فاصبحوا وقد بلغت عدة الاميال حتى اول ابريل من هذه السنة مئتين وخمساً وعشرين الفاً . ولا خفاء ان مثل هذه الخطوط لا تقوم بالواجب عليها من الخدمة العامة الا اذا كثر سواد العملة فيها من خدمة وقوامين وسواق ووقادين واشالهم حتى اصبحت عدتهم لهذا العهد تناهز المليون وخمسمئة الف من الناس

واستخدام مثل هذا العدد من ابناء الامة يزيد في منافعها ويغلق باب البطالة في وجه الشاكين منها ويذود عن البلاد ضرر ثورات البطالين وهرج القوم الذين يحسبون عالة على المجتمع

ومما يذكر ان عدة هؤلاء العملة الناصين يربو كثيراً على عدد الجيوش التي كانت واقفة تحت السلاح يتربص كل فريق منها الشر بالاخر ايام الحرب الاهلية الاميركية

والسكك الحديدية تنفع البلاد بنقل نتاج زراعتها وصناعتها من موقع الى آخر وبحمل السلع التجارية من سوق الى اخرى فتفيد المشتغلين بالتجارة والزراعة والصناعة وتؤثر في الحالة الاقتصادية تأثيراً يدر الثروة . ولا تحصر فوائدها المادية في نفع فئة دون اخرى فان

للقوّامين عليها منافع خاصة تعود عليهم بالارباح الطائلة جزاء اجادتهم في ضبط اعمالها وقد قدرت واردات سكك الولايات المتحدة في هذه السنة فبلغت الفين واربعمئة الف مليون ريال اميركي وهو مقدار من المال لو سلم ليدِ الدولة لوفت منهُ دينها مرتين وبقي منهُ بقيةٌ تكفيها لنفقات دوائرها ورواتب موظفيها مدى سنة كاملة ثم لو بحث باحث في ثمن ما تملك شركات السكك الحديديةُ من العقار لرأى ان ذلك يربو على ستة عشر الف مليون ريال

الّا ان مصادر الثروة لا يسبر غورها بالنظر في كسب السكك الحديديّة فقط بل بالبحث في سائر ابواب المكسب من الصناعة والزراعة والتجارة وامثالها

فاما في الصناعة فقد كان للولايات المتحدة القدح المعلّى لانهُ سُبك من الحديد سنة ١٨٦٥ نحو ٨٣٢ الف طن فاطردت الزيادة بعد ذلك حتى بلغ جملة ما سبك هذه السنة ٢٧ مليوناً من الطنّات. ومثل ذلك استخراج الفحم الحجري فقد كان سنة ١٨٦٥ نحو عشرة ملايين طن فصار هذه السنة يناهز الاربعمئة مليون. وكان جملة ما يستخرجون من المعادن لا تتجاوز قيمتهُ المئة وخمسين مليوناً من الريالات فاصبح هذا العهد يناهز الفي مليون من الريالات وكانت الصناعات الاخرى لا تنتج في السنة الفي مليون ريال فاصبحت قيمة نتاجها الحاليّ تقدر بسبعة عشر الف مليون ريال

واما في الزراعة فقد كانت المزارع والحقول تقوّم بمبلغ سبعة آلاف مليون ريال وريعها السنوي كان الف مليون فاذا هي اليوم تقوّم بثلاثين الف مليون ويقدر ريعها بسبعة آلاف مليون

وقصارى القول ان كل ثروة البلاد كانت تقوّم سنة ١٨٦٥ بنحو عشرين الف مليون ريال فزادت حتى صارت اليوم تقوّم بمئة وثمانية عشر الف مليون ريال

وكان الاهلون قد شرعوا قبل ذلك الزمن يستودعون بنوك التوفير شيئاً من اموالهم فلما كانت سنة ١٨٦٥ كان جملة المستودع بها مئتي مليون من الريالات فزادت هذه المقادير تدريجاً حتى صارت سنة ١٩٠٧ ثلاثة آلاف واربعمئة مليون ريال اي تضاعفت قيمتها سبع عشرة مرةً في مدى الاثنتين والاربعين سنة

وهذا الارتقاء في الثروة العامة ظهر باعظم مظاهره في غنى الحكومة الاميركيّة لانها كانت مديونةً سنة ١٨٦٥ بمبلغ الفين ومئتي مليون ريال فلما زاد دخلها بنمو الثروة العامة كانت تفي ما عليها من الربا وتستهلك من اصل الدين حتى تناقص فصار ثلثمئة مليون ريال اي اقل بالف وثلثمئة مليون ريال. وبالجملة كان الدين لو توزع على كل فردٍ من اهل الولايات المتحدة سنة ١٨٦٥: رجلاً وامرأة وطفلاً لاصاب واحدهم يومئذٍ خمسة وستين ريالاً اما اليوم فاذا

توزع الباقي على الاهلين اصاب واحدهم احد عشر ريالاً ليس الاَّ

فاعظم بهذا الرقيّ لامةٍ يبلغ من الامة الاميركية مبلغاً انالها المكانة والعزة والثروة وحبها بمسابقة الامم العريقة في الصناعة حتى غالبت الامة البريطانية على صناعة النسيج فضلتها سنة ١٨٨٠ وعلى سبك الحديد والفولاد ففازت سنة ١٨٩٥

واذا اعتبرت حالها اليوم وعدد سكانها وان عملهم عظيم جداً حتى يستخرجوا من الذهب ربع ما يستخرج في العالم كله ومن الفضة الثلث ومن الفحم نحو النصف ومن الحديد اربعين في المئة ومن الفولاذ اثنين واربعين في المئة ومن البترول خمسين في المئة ومن النحاس ستين في المئة ويستغلون من القطن مقداراً يبلغ خمسة وسبعين في المئة ومن الذرة خمسة وثمانين في المئة والامة الاميركية لا تزيد على خمسة في المئة من عدد بني البشر

ونحن لا نذكر هذا الاَّ تحدثاً بنعم الله على قوم يغتنمون الفرص متى سنحت فان لم يجدوها يصنعون جهدهم لاحداثها لا يستنيمون لصروف الدهر ر ن

[المقتطف] وقد نشر قلم الاحصاء في الولايات المتحدة كتابهُ الاخير وهو في ١٢٠٠ صفحة كبيرة يمتد في احصائهِ الى سنة ١٩٠٤ وفيهِ ان ثروة الولايات المتحدة كانت تقدر حينئذٍ بنحو ١٠٧ آلاف مليون ريال اي نحو ٢١٤٠٠ مليون جنيه فمتوسط ثروة النفس نحو ٢٦٣ جنيهاً وهي تزيد سنوياً نحو ثمانية جنيهات. فمتوسط ثروة النفس في انكلترا وفرنسا اكثر من متوسط ثروة النفس في الولايات المتحدة . والناس اوفر ثروة في الولايات الاميركية الجديدة منهم في القديمة واكثر الثروة في العقارات ثم في المصنوعات ثم في سكك الحديد كما ترى في هذا الجدول

ثمن العقارات	٦٣٠٠٠	مليون ريال
« المصنوعات	١٨٠٠٠	« «
« سكك الحديد	١٦٠٠٠	« «
« المواشي وآلات الزراعة	٠٣٠٠٠	« «
« آلات الصناعة	٠٣٠٠	« «
« الذهب والفضة	٠٢٠٠٠	« «

وقد نقص دين الحكومة منذ سنة ١٨٧٠ الى الآن وزاد دين المدن والولايات وذلك من ادل علامات النجاح لان الحكومة تنفق الاموال التي تستدينها على الحروب في الغالب واما المدن والولايات فتنفق ديونها على الاصلاحات المحلية والاعمال العمومية النافعة